نظرة الله إلى الخاطئ

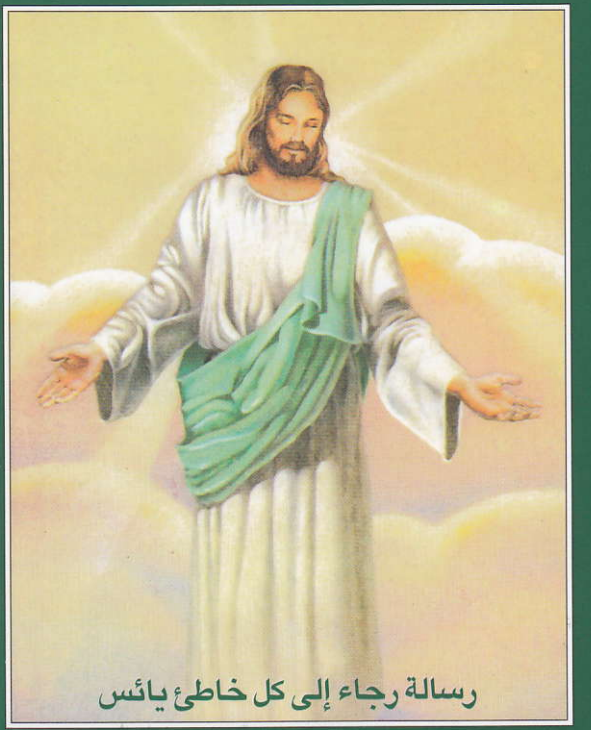

رسالة رجاء إلى كل خاطئ يائس

مكاريوس

الأسقف العام

مراجعة

نيافة الأنبا أرسانيوس

الكتاب : نظرة الله إلى الخاطئ
إعداد : مكاريوس (الأسقف العام)
مراجعة : نيافة الأنبا أرسانيوس
الغلاف : ليفلز *Levels* ت : ٠٢ / ٦٣٢٤١٠٣
الطبعة : الثانية عشر نوفمبر ٢٠١٢
الأولى مايو ١٩٩٨
طباعة : بمطبعة الدلتا - delta PRESS
www.deltapress.net
٢٤ ش الدلتا سبورتنج - ت: ٢٠٣+ /٥٩٠١٩٢٣
رقم الإيداع : ١٩٩٨ / ٧٧٩٣
الترقيم الدولى : ٩٧٧-٠٣-٠٤٧٠-٠

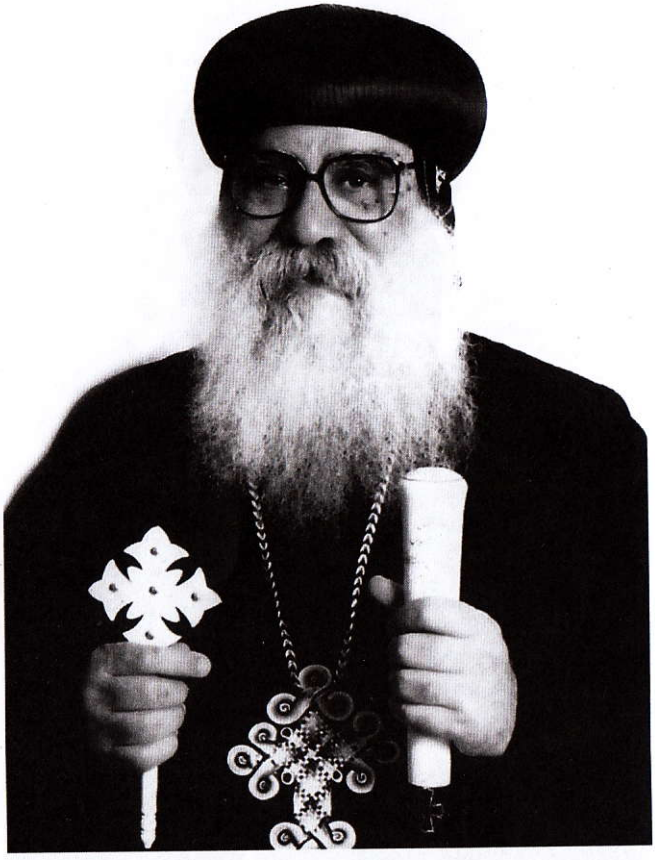

نيافة الحبر الجليل الأنبا باخوميوس
مطران البحيرة و مطروح و الخمس مدن الغربية
و قائمقام البطريرك

*** إلى الذين صارت خطاياهم حاجزاً فى ما بينهم وبين الله .**

*** إلى الذين إتخذ الشيطان من خطاياهم ذريعة للتشكى عليهم قدام الله .**

*** إلى الذين بسبب خطاياهم بطلت حركتهم وتملك اليأس من قلوبهم .**

يظن الكثيرون أن الله متربص بهم ويراقبهم عن كثب ليتصيد لهم الأخطاء ، ومن ثم يجد المبرر لإهلاكهم !! وكأن الله يثأر لنفسه من جحود الإنسان وزيغانه . يعمل الشيطان هنا بطريقة مزدوجة ، فهوو يشتكى على أولاد الله من جهة عله يستطيع أن يهيج عليهم سخط الله مثلما حدث فى المحاولة الفاشلة بخصوص أيوب الصديق ، ومن جهة أخرى يشكك الإنسان فى محبة الله له وإمكانية الغفران المستمر ، حتى يغلق عليه فى شباك اليأس .

ولكن الله محب جسّد محبته لنا فى خلقتنا ، وفى تجسده لفدائنا ، ومازال يغدق الخير ويذود عنا ويسعى بكل السبل لخلاصنا ، ترى إذن كيف ينظر الله إلى الخطية والخاطئ ؟ .

١- حُسْن النية :

قد لا يكون حسن النية كافياً عند الناس ولكنه كاف بالنسبة لله ، فالناس يحتاجون دوماً إلى التعبير عن ذلك ، يحتاجون إلى إظهار حسن النية من خلال العطايا المالية أو العينية أو الملاطفة والمجاملات والمشاركة الوجدانية ، وبهذا يطمئنون إلى محبة الآخرين لهم . ومن هذا المنطلق يقيمّون علاقاتهم بعضهم بالبعض الآخر من جهة ، ومن جهة أخرى يقيمون الإنسان ذاته .

من هنا أيضاً قد يلعب الرياء والنفاق دوراً ريادياً فى العلاقات الإنسانية فينجح البعض فى خداع الآخرين وإكتساب تقديرهم ، إذ يظهرون خلاف ما يبطنون ويحملون الآخرين على إحترامهم ، وبهذا تفتقر العلاقات والصداقة الحقة إلى المحتوى الهام والضرورى وتنحرف إلى التركيب الخارجى فقط ، مما يجعل تلك العلاقات هشة تتهاوى عند أول إختبار حقيقى لها .

أما من جهة الله ، فيكفيه حسن النية ، الله يعرف جيداً ما فى أعماقنا حتى وإن فشلنا نحن فى التعبير عنه ، قد يهتم الناس بالبعد الخارجى ولكن الله يعتم بالعمق ...

قد يهتم الناس بالكم بينما يهتم الله بالكيف ، عندما كان واقفاً عند الخزانة ، كان ينظر بولد كان الناس يضعون عطاياهم فى الخزانة ، حيث مدح الأرملة الفقيرة لأنها أعطت كل ما تملك ، من أعوازها أعطت ، أعطت بفرح ، أكثر مما أعطى الأغنياء مئات من الدنانير ، لأن هؤلاء أعطوا بتشامخ قلب، بينما أعطت تلك بفرح قلب .

قد يهتم الناس بالعمل ، فى حين يهتم الله بالدافع للعمل ، والذى يجب أن يكون الحب .

ولذلك فقد يسبقنا المجهولون والمغمورون إلى الملكوت فى حين تتهاوى قمم شامخة كان لها إسم ومكان ومكانة ، كثيرون متواجدون فى أروقة الكنائس ولكن جسدانياً فقط ، يقضون فى صحون الكنائس أكثر مما يقضون فى منازلهم ، ولكن بمثل أولئك لا يسر الله ، روى أحد الكهنة هذه القصة فقال :

مررت ذات يوم فى الطريق الزراعى الضيق قاصداً الكنيسة

وكان الوقت صباح الأحد ، وأثناء سيرى لمحت (عم ميخائيل) جالساً فوق كومة من التبن فبادرته بالسؤال :

– حان وقت القداس فهلا أتيت معى إلى الكنيسة ؟

– أتريد الحق ؟

– بالطبع !

– إنى أؤثر أن أجلس فوق كومة التبن وأنا أفكر فى الكنيسة ، عن أن أجلس فى الكنيسة وأنا أفكر فى التبن !!

– فقلت (مبتسماً له) : صدقت ولكن هيا معى وهناك أضبط فكرك ، فلا تنشغل بالتبن .

وفى هذا الصدد تقول الأم سارة (قد يوجد إنسان منفرداً ، وهو منشغل بالذهن مع كثيرين) .

ونحن نعرف – فى المقابل – أن كثيرين ممن إضطروا للعمل فى بلاد ليس بها كنائس أو كهنة أو خدمة أو ذبيحة أو أسرار ، يحتفظون بعلاقة قوية مع المسيح فى إختبارات مفرحة وعبادات حارة ومخادع تتقدس بالحضور الإلهى .

إن تحركاً قلبياً داخلياً من نحو الله قد يفرحه أكثر بكثير

من نشاط أفقى واسع يفتقر إلى العمق الإختبارى ، إنها قضية الشكل والمحتوى ، فقد يحمل البعض مظهر الإنسان الروحى بينما يفتقر بشدة إلى جوهر الشخصية الروحية .

الله إذن يعرف ما فى داخلنا ، ويهمس فى الأذن قائلاً : « **أنا عارف أعمالك** » (رؤ ٢ : ١٩) أنا أعرف نيتك ... أنا أعرف إحتياجك .

ولذلك فنحن كثيراً ما نصلى ونطلب فلا يستجيب الله لنا، ليس لشئ سوى أننا لا نعرف كيف نعبر عن إحتياجاتنا .. فاللغة قاصرة ، إلى جانب عدم معرفتنا بما هو صالح لنا حقاً ، ولعل هذا هو السبب فى بطء إستجابة الله لنا – حسب ظننا – أو فى عدم إستجابته مطلقاً فى بعض الأحيان « **تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديا** » (يع ٤ : ٣) .

ولذلك فإن الله – إن جاز التعبير – يعيد صياغة الطلبة مرة أخرى !! ذلك قبل أن يستجيب لها وبحسب الصيغة الجديدة ، تخيل لو أن إنساناً طلب من الله الإنتقام من عدوه ، إن الله يعرف أن فى قلبه حقداً وضيقاً تجاه عدوه ، وهذا هو الدافع خلف الرغبة فى الإنتقام ، فيقوم الله بصياغة الطلبة مرة

أخرى لتصبح هكذا « إصنع يارب سلاماً بينى وبين عدوى » فإذا ما إستجاب الله وحل السلام فى قلب ذلك الإنسان بدلاً من الحقد والحسد ، سقطت بالتالى الطلبة فى صياغتها الأولى ! ولكن ولئلا ننسى فإن « **صلاة الأشرار مكرهة للرب ، وصلاة المستقيمين مرضاته** » (أم ١٥ : ٨) .

وهكذا فإن الله يتعامل معنا بحسب النوايا الصادقة الكامنة فى أعماقنا ، إن الله لا يأخذ بالوجوه .. إن الأخرس لا يعرف الكلام ولكنه قطعاً يصلى .. إنه لا يعرف التعبير ولكنه بالتأكيد يفكر ويتحرك قلبه بالشكر أو بالتذمر ، والله يعرف أفكاره جيداً . وهكذا يقيم الله الإنسان .

وقد يلجأ الإنسان فى بعض الأحيان إلى تقييم الشخصية من خلال الأذن أو العين ، ولكن الله يعرف جميع أعماق الإنسان ومشاعره وخلجات نفسه ، وبالتالى فإنه تكفيه حاسة واحدة للإنسان يقيمة من خلالها ..

إن القاعدة التى يتسلمها المصححون فى الإمتحانات هى :

* حاول أن تفهم ما كتبه الطالب أو ما يريد أن يقوله وليس ما كتبه فقط .

* إذا جاوب سؤالاً يستحق عليه المكافأة ثم تشكك وقام بالشطب عليه فصححه له وكافئه عليه بدلاً من سؤال آخر درجته فيه أقل .

* إسع لتجنبه الرسوب ، فقد يكون ناجحاً فى بقية المواد، ويرسب بسبب مادتك .. ! .

* لن تخسر شيئاً إذا أنجحته فى حين لن تجنى شيئاً من وراء رسوبه .

* إعتبره إبنك وبالتالى إفرح لنجاحه وإسع فى ذلك .

* أما ذاك الذى يستحق الرسوب فهو من يضع مادة مكان أخرى فى ورقة الإجابة كأن يكتب رياضيات بدلاً من علم الأحياء مثلاً !! .

فإن كان البشر يعرفون أن يفكروا ويسلكوا على هذا النحو، فكم وكم يفعل الله الذى وضع فى قلوب المصححين هذا الحنو والرقى، الناس قد تدركهن السآمة والملل بسبب كثرة ما يصححونه من أوراق، فى حين يطيل الله أناته، فالكل محسوب عنده يهتم بالكل... حتى العصفور الخامس الذى

يحسب بلا ثمن[1] يهتم به الله أيضاً (لو١٢ :٦، ٧-راجع أيضاً مت١٠ :٢٩، ٣١) .

إن الله لا يفصل الخطية عن الخلفية التى تمت عليها، بل يضع ظروف الخطية فى الحسبان .. الله عادل، فقد يخطط إنسان لخطية ما ولكنه وبسبب ظروف خارجة عن إرادته لا يستطيع اتمامها، هذا يدان ولو بقدر ما، باعتباره أخطأ بالنية، بل نسمع أروع من ذلك من القديس باسيليوس الكبير إذ سئل عن ذلك فقال : « إن إنتوى الإنسان أن يخطئ ولكنه أعيق (مثل السارق الذى يمنعه وجود الناس) فإنه بذلك تكون النعمة قد إفتقدته .!! »

ونلاحظ كثيراً أنه قد يكون لخادم نشاط أفقى متسع، فيتحرك فى جميع الإتجاهات فى خدمة الكنيسة، يقضى فيها أغلب وقته ما بين القداسات والإجتماعات والأنشطة المختلفة ولكن دون عمق، حيث يتقلص الإتجاه الرأسى فى شخصيته الروحية إلى حد قد يصل إلى الصفر، وبالتالى فحالما يتخرج

(١) فى أيام السيد المسيح كان العصفوران اللذان يستخدمان كذبيحة تطهير يباعان بفلس واحد، ومن أجل التشجيع على الشراء كان البائع يبيع الخمسة عصافير بفلسين وبالتالى فيكون العصفور الخامس وكأنه بلا ثمن .

وتحاصره الإهتمامات المختلفة، تنقطع علاقته بالكنيسة وبالمسيح، فى حين أن الخادم الروحى إذا منعته ظروفه من مزاولة أنشطته الكثيرة وخدماته المتعددة . تمتع بالعمق الروحى له وبالشركة الداخلية مع الله مع الإكتفاء بخدمة واحدة فقط ووقت محدود للتواجد فى الكنيسة، إنها المشكلة التى يعانى منها الكثيرون، فالمخدومون فى المرحلة الإبتدائية فى بعض الكنائس قد يصل عددهم إلى المائتين طفلا وفى الإعدادى يتناقص إلى المئة والخمسين مثلاً، وفى الثانوى إلى المئة، وفى الأسرة الجامعية إلى الخمسين وفى إجتماع الخريجين إلى خمسة وعشرين، وبعد الزواج قد يختفون جميعاً.. فهل يحسب الفكر الصالح أفضل – عند الله– من السلوك فى سطحية أو نفاق !!! نعم أظن ذلك ...

٢- الخاطئ والفاجر :

هناك فرق بين الخاطئ وبين الذى إرتكب خطية، تماماً مثل الذى يخطئ والذى يحب الخطية، أو مثل السارق والذى سرق، أو الكذاب والذى كذب، والكتاب يقول (**لا تدينوا فلا تدانوا، لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم لو٦ :٣٧**) هناك فرق بين أن تقول أن شخصاً ما كذب أو أن تقول أنه كذاب !،

ففى الأولى قد تعنى أنه قد سها أو ضعف أو أنزلق فكذب ... كذب مرة .. مرة واحدة، وأما فى الثانية فقد تعنى أنه كاذب . صار الكذب جزء لا يتجزأ من شخصيته !! ففى الأولى تدينه وأما فى الثانية فإنك تحكم عليه **(تقضى عليه)** إذاً فهناك فرق بين الخاطئ والفاجر، فالخاطئ التقليدى **(إن جاز التعبير)** هو من يخطئ :

أ - إما عفواً .

ب- وإما جهلاً .

جـ- وإما ضعفاً (١)

أما عفواً فهذا يعنى أن الشخص إنزلق فى الخطأ دون وعى، مثل خطايا الكلام التى تنزلق عفواً من على اللسان، وهو فى هذه الحالة يحتاج إلى تدريب لضبط لسانه **(إجعل يارب حارساً لفمى إحفظ يارب شفتى مز١٤١ :٣)** فالإدانة والهذر السخيف والشتائم والكذب وغيرها قد تأتى عفواً دون سابق قصد أو **(مهلة)** لإختيار ما يجب التفوه به ..

---

(١) قال أب « ثلاثة تسبق كل خطية : الشهوة والنسيان والغفلة »

كذلك أيضاً النظرات الشريرة العابرة، يقول أحد الآباء : «إننا لا نقدر أن نمنع عصفوراً من أن يحوم حول الشجرة، ولكنه بإمكاننا أن نمنعه من أن يصنع فيها عشاً .»

إن هناك فرقاً بين النظرة العابرة، والنظرة الفاحصة، فالأولى سريعاً ما يتلاشى خيالها من الذاكرة، بينما تحتاج الأخرى إلى وقت وجهد طويل للتخلص من آثارها .

كذلك أيضاً القرارات السريعة التى تتخذ فى عجلة ودون تأنى أو تروى، والتى قد ينتج عنها الكثير من العواقب الوخيمة، ومن هنا يحتاج المجاهد إلى يقظة ووعى وحرص .

وأما جهلاً فإنه فى هذه الحالة كان يقظاً منتبهاً ولكنه يجهل أن تلك خطية، ومن هنا فإن المعرفة الروحية تسهم فى إتساع الأفق الروحى واللاهوتى، وتهب الإستنارة الداخلية، ولذلك يقول الكتاب (**قد هلك شعبى من عدم المعرفة (هوع :٦)**) ونحن نقصد بالطبع المعرفة النافعة وليس الضارة، فليست كل معرفة تسهم فى خلاص النفس، فإن الجهل ببعض المعارف قد يكون مفيداً .

أما المعرفة من خلال القراءات وسماع العظات وتلقى

الإرشاد، فهى تبنى الإنسان وتكون لديه قاعدة لاهوتية عقائدية روحية، يقول معلمنا بولس الرسول (تحتاجون أن يعلمكم أحد ما ما هى أركان بداءة أقوال الله وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوى لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل، وأما الطعام القوى فللبالغين **الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر (عب٥ :١٣)** .

وهكذا من خلال الإستنارة يتكون لدى الإنسان ما يسمى (الحس الروحى (Spiritual sense) [١] والذى يتيح له بدوره القدرة على التمييز بين ما هو جيد وما هو ردئ فالإنسان الروحى بحسب إشارة معلمنا بولس الرسول (يحكم فى كل شئ وهو لا يحكم فيه من أحد **(١كو٢ :١٥)** وعلى الإكليروس ضمان سلامة الوعى الروحى لدى الشعب، دون أن يزيفوه تحت أى ستار أو دوافع، لئلا يخلقوا بذلك جيلاً ضيق الأفق، أسير المفاهيم المغلوطة والناقصة، فاقد الحرية المسيحية الحقيقية إذا كان تدينه تديناً مريضاً .

---

(١) عن التعبير الفرنسى الشائع SENS SPIRITUEL :

أما أن يخطئ الإنسان ضعفاً، فإن هذا يعنى أنه قاوم غير أنه سقط فى نهاية الأمر، حقيقى أنه كان واعياً فلم ينزلق، كما أنه كان عارفاً فلم يسقط عن جهل، والآن هو حاول أمام إغراء الخطية ولكنه ضعف فسقط، غير أن المقاومة أمام عروض الشر تختلف – من حيث قوتها – من شخص إلى آخر، فهناك إنسان لا يملك رصيداً روحياً وفكرياً كافياً، هذا يتهاوى عند أول ضغط للخطية، وكأنه واقف عند الخط الفاصل بين الحياة والموت، يقاوم فقط، فمتى ضعف أو تهاون سقط صريعاً . والرسول بولس يقول (لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة عب١٢ :٤) .

فالبعض يقاوم حتى **العرق** ! والبعض الآخر حتى **الدموع** ولكن قليلين جداً هم الذين يجاهدون حتى **الدم** ... حتى الموت .. إنهم الشهداء الذين إستخفوا بدمائهم فى سبيل المسيح فلم تثنهم التهديدات، ولا السجون ولا الضغوط النفسية ولا العذاب ولا الإغراء، ولم ينسحبوا، فلما لم يتبق أمامهم وأمام مضطهديهم سوى الدم، سفكوه بفرح، مازال يحير الدارسين والمؤرخين والمحللين، من غير المؤمنين .

ان القاسم المشترك فى دوافع السقوط الثلاثة (السهو والجهل والضعف) هو تقلص محبة المسيح فى القلب، تلك المحبة التى تجعلنا يقظين مستنيرين، فمحبة المسيح تنير القلب وتدخلنا إلى معرفته، وتجعلنا أقوياء نستخف بعروض الشر ونحتقر الخطية . وعلينا ألا نسعى للخطية، فإن هى سعت إلينا فعلينا أن نقاومها، فإن لم نستطع فسقطنا فعلينا ألا نيأس بل ننهض من جديد لنواصل مسيرتنا، قال أحد القديسين «جيد أن لا نسقط فإذا سقطنا فجيد ألا نؤخر التوبة، فإذا تبت فجيد ألا تسقط أيضاً فإن لم تسقط فاشكر الله على نعمته» .

(.. أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته . البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير وبعد أن تتموا كل شئ

أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البـــر وحـــاذين أرجلكم باستعـداد إنجيل السلام . حـاملين فـوق الكل ترس الإيمان الذى به تقـــدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة وخذوا خـوذة الخـلاص وسـيف الروح الذى هو كلمة الله أف٦ :١٠-١٧)

أما الفاجر، فهو ذاك الذى يخطئ على مستويات :

أ – التفكير .

ب– التعبير .

جـ– التقرير .

أمـا أن يخطئ على **مستوى التفكير،** فيقصد به أن يدبر الخطية ويخطط لها، ويسعى لها بل ويبتكر فى أساليبها، ويثير نفسه ويجلب عليها القتال، فتشتعل فيه الرغبة الشريرة والشهية إلى الخطية،.. يحكى عن راهب كان محارباً بالشهوة الرديئة ثم أنه كشف لأبيه الروحى معاناته وطلب منه أن يقيم صلاة لأجله ففعل الأب غير أن الحرب لم تهدأ، فلما تقابل الأب الكبير مع

الشيطان ذات مرة : إنتهره حتى يترك ذلك الأب وشأنه ولا يعود لمحاربته، وعندئذ أخبره الشيطان أنه قد كف عن محاربته منذ اليوم الذى بدأ فيه الصلاة، ولكن الراهب المسكين هو الذى يحارب نفسه لأنه يأكل ويشرب وينام كثيراً) ... من أين الحروب والخصومات بينكم أليست من لذاتكم المحاربة فى أعضائكم يع٤ :١) . مثل ذلك الإنسان، يبحث جاداً عن الخطية، فى الشارع وفى وسائل الإعلام ومع أصدقاء السوء .

وأما على **مستوى التعبير** فهو يمارس الخطية ويقترفها بوعى كامل، ويخطئ دونما خجل أو حياء ودون أن يوخزه ضميره، وقد فقد الحساسية للخطية وأصبح من العسير عليه التمييز بين ما هو جيد وما هو ردئ (يشربون الإثم كالماء) والعجيب أنه ينظر إلى الكثير من الخطايا باعتبارها ليست خطايا بقدر ما هى شكل من أشكال الحرية أو التمدن أو المجاراة، أو أن مثل تلك السلوكيات هى إفراز لمجتمع أصبح شريراً، ومن هنا يبتكر أساليباً مختلفة للدفاع عن الإنحراف فى حين أن الإنسان الروحى يعرف كيف يلوم نفسه ويبكتها وكلما إقترب الإنسان أكثر من المسيح كشف له « شمس البر » خطورة الإنحراف وعمق الهوة، وفى المقابل مجد القديسين الذى تحدث عنه الأنبا

وأما على **مستوى التقرير**، فإن الخاطئ بسبب كثرة ممارسته للخطيئة والتمرس فيها، تحولت فيه الخطيئة إلى إتجاه ثابت أو نمط واضح، فصار يهرب إلى الخطيئة .. إذ لا قدرة لديه على المقاومة! تبكته فلا يأبه بالتبكيت .. تعنفه فيرتد إليك نصحك وقد يسخر منك وقد يتهمك بالمغالاة والتزيد والمبالغة، وتختفى منه العاطفة الروحية ويصبح عقلانياً عنيداً، ويميل إلى فلسفة جديدة فى الحياة ونظرة جديدة إلى الوصية ! ويبتكر المبررات كما يفعل فلاسفة الغرب وأنصار الوجودية . **وهكذا يتحصن ضد التوبة** ...

يذكر الكتاب المقدس فى سفر أرميا أن بنى إسرائيل لم يقبلوا تأديب الرب بل قسُّوا قلوبهم فيجيب أرميا الله قائلاً (يارب أليست عيناك على الحق . ضربتهم فلم يتوجعوا أفنيتهم وأبوا قبول التأديب صلبّوا وجوههم أكثر من الصخر أبوا الرجوع أر٥:٣) .

والمقصود بـ **صلبوا وجوههم** إن وجوههم أو ملامحهم صارت بلا أى تعبير .. بحيث لا يمكن قراءتها ..!! وعند

التبكيت لا يبد عليها تأثير فى القسمات أو دموع فى المآقى، وفى تطور إلى الأسوأ يقول الوحى عنهم (لأن آباءهم خانوا وعملوا الشر وحولوا وجوههم عن مسكن الرب **وأعطوا قفا** ٢أخ٢٩ :٦) بمعنى أنه فى المرة السابقة كان هناك وجه وكانت هناك ملامح حتى وإن لم يكن لها أى تعبير، ولكن الأمر مختلف هنا تماماً إذ أن المساحة مسطحة !! مما يعنى الرفض الكامل . هذا هو الفجور .

ولنلاحظ أيضاً أن الخطية تتطور قليلاً قليلاً فى غفلة من الإنسان، ويرد فى المزمور الأول إشارة إلى مراحل التطور هذه (طوبى للرجل الذى لم **يسلك** فى مشورة المنافقين وفى طريق الخطاة لم **يقف** وفى مجلس المستهزئين لم **يجلس** ولكن فى ناموس الرب إرادته مز١ :١) فالخطية تبدأ بسلوك عابر، ثم يتطور إلى وقوف للتشاور، ثم ينتهى بالجلوس لعقد الصفقة .!!

وفى البشائر الأربعة لم يذكر ممن أقامهم السيد المسيح من الموت سوى ثلاثة فقط، هم فى الواقع يمثلون **مراحل الخطية** أيضاً، فإبنه يايروس كانت قد ماتت للتو، بينما كان إبن أرملة نايين فى طريقه ليدفن، أما لعازر فكان قد أنتن فى القبر، إذ كان له أربعة أيام ..

٣- الخطية تجرح الله :

عندما نخطئ فنحن نجرح الله بخطايانا، أو بمعنى أدق : الله ينجرح لنا ! بل أنه مات بالفعل لأجل خطايانا فانجرح وسال دمه الثمين غفراناً لخطايا العالم كله، إننا لا نستطيع أن نهين الله، فالله علا شأنه عن ذلك .. بل إن كل من لوثته الخطية لن يجد النقاوة والطهر إلا فى الله، إما من خلال المعمودية « حميم الميلاد الثانى » وإما من خلال التوبة « المعمودية الثانية » الله قادر أن ينقينا ويطهرنا من جميع أقذارنا، إنه فعْل المعمودية التى تبتلع داخلها جميع خطايانا وتلدنا من جديد . (فمررت بك ورأيتك مدوسة بدمك .. فبسطت ذيلى عليك وسترت عورتك .. ودخلت معك فى عهد .. فحممتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت وألبستك مطرزة .. وجملت جدا فصلحت لمملكة .. حز١٦ :٦-١٣) .

ان الله لم يتأفف منا .. بل يشفق علينا، إنه يعرف طبيعتنا جيداً .. يرثى لضعفنا ويحارب عنا وينتصر لنا ويضع هذه النصرة فى رصيدنا، نسحب منها كل يوم فتزيد، بل أكثر من هذا، نقرأ فى سفر هوشع (يشوع = يسوع) إن الله قد إتخذ

لنفسه عروساً (شعباً) بلا فضائل – بلا قامة .. بلا تاريخ .. بلا مواهب، وراح يرقى بها ويجملها وينقيها حتى أصبحت عظيمة، فرفعها من الحضيض إلى المجد، ولم يستح من ضعفها أو وضاعتها . هذا ما أشار إليه الوحى الإلهى عندما أمر هوشع أن يتخذ له إمرأة زنى .. وولدت له لو رحامة (غير مرحومة) ولو عمى (ليست شعبى) ثم صارت غير المرحومة مرحومة وأصبحت التى ليست بشعبه شعباً له ومن خاصته (هوشع ص١) .

يقول أحد القديسين (إن هذا يشبه طفل ملقى على الأرض يتمرغ فى وسخه وحالما يرى أمه يرفع يديه نحوها باكياً فما أن تراه على تلك الحال حتى تتكفئ عليه وتلقطه بين ذراعيها وتحتضنه بقوة وتقبله دون أن تنظر إلى شئ من وسخه) .

إن محبة الله لنا محبة كيانية، وليس محبة على مستوى الخارج فقط، من شكل ورائحة وغيرها . الله يحب النفس البشرية (لذتى فى بنى البشر) .

نقول ذلك لأولئك الذين يمنعم الشعور بالإثم من الإقتراب إلى الله وإلى مقدساته من خلال الكنيسة أو قراءة الكتاب المقدس أو الصلاة، حقيقى أن اللياقة ضرورية، والحياء

شكل من أشكال الشعور بالخطيئة ولكن علينا الإنتباه لئلا يكون ذلك بحيلة من الشيطان الذى يعمل على مستويين، فهو يدفع الإنسان إلى الخطيئة مسهلاً له سبلها مقنعاً إياه ببساطة الأمر، وبعد ذلك وحالما يسقط يبكته تبكيتاً شديداً، ليس من أجل التوبة والبنيان وإنما من أجل أن يوقعه فى اليأس والقنوط وفقدان الرجاء، ولذلك فإن الشيطان لا يهمه فى كثير أو قليل أن يسقط الإنسان فى الخطيئة، بقدر ما يهمه أن ييأس الإنسان، ومن هنا فهو يسعى حتى يعرف أى الخطايا تلك التى توقع الإنسان فى الإحباط ومن ثم يركز حربة فيها .

ولكن علينا أن نعرف جيداً أنه لا توجد خطية مهما بلغت، تقدر أن تغلب محبة الله، لأن الله مغلوب من محبته ومن هنا لا توجد خطية تستعصى على التوبة .

التوبة التى تحول الزناة إلى بتوليين، أى كأنهم لا يخطئوا أصلاً (بحسب تعبير الشيخ الروحانى) ويروى القديس يوحنا الدرجى أنه زار الدير المسمى دير الميتانويا « التوبة » وهناك تقابل مع آباء كثيرين يعيشون حياة التوبة الحقيقية، فى نسك وأعمال إماته يصعب وصفها، كانت وجوههم مشرقة مع ما بها من

دموع، وكانت صلواتهم مثل نيران تصعد إلى السماء، أما سكان ذلك الدير فقد كانوا ممن قد إرتكبوا بعض الخطايا وذهبوا إلى هناك حيث توضع عليهم قوانين صعبة للغاية، فتأثر القديس يوحنا بمناظرهم، وتبكت بعظم توبتهم، ومن ثم عاد إلى رئيس الدير الذى بادره بالسؤال عن إنطباعه عما شاهده فقال له (إسكت يا أخى لقد طوبت الذين أخطأوا ثم تابو أكثر من الذين لم يخطئوا ولم يتوبوا) (١) .

٤- الله لايقبل الشكاية علينا :

حتى اليوم وبالرغم من كل تعدياتنا فإن الله لم يتخذ منا موقفاً، ولم يغير رأيه فينا، الله مازال يثق فى صدق رغبتنا فى التوبة، ومن هنا يطيل آناته علينا بصبر عجيب، إن طول الآناة هى الصفة التى يجب علينا التفكير فيها كثيراً، الله ينظر إلينا بعين المستقبل فيرى فينا قديسين وأبراراً علماء وحكماء وقادة فعالين، الله لا يسرع بالحكم علينا .

فقد أثمرت طول آناة الله : بولس الرسول .. إن الله إستطاع أن يحول الطاقة من إتجاه آخر فى شاول فصار «بولس» الفيلسوف والكارز العملاق وأعظم مبشر فى التاريخ المسيحى،

كما أثمرت لنا موسى الأسود، وهو من الأمثلة الرائعة لتوبة لص قاطع طريق .. ومريم القبطية وتايس وغيرها ..

إن الله ينظر إلينا لا باعتبار ما هو قائم وإنما باعتبار ما هو قادم ! أى أن الله لا يقيمنا من خلال سقطاتنا ولا يغير رأيه فينا مهما صدر عنا، ألعل عدم أمانتنا تبطل أمانة الله ؟ حاشا هو يبقى أميناً إلى الأبد .. (صادقة هى الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه إن كنا نعبر فسنملك أيضاً معه إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه ٢ تيمو٢ :١١-١٣) .

إنه مثل الأم الحنونة، يلاطف ويعاتب ويربت على الكتف، وأتخيل كيف يرهق الفتى أو الفتاة والديهم بسلوكياتهم المضطربة ما بين التمرد والتذمر والإقبال والإدبار .. يلوذون بهم ويتحدونهم .. يعادونهم ويحتمون فيهم، ويظل الصراع سجالاً بين الفريقين لمدة قد تتجاوز الخمسة عشر عاماً إلى أن ينتحى الإبن أو الإبنة منحى جديداً فى حياتهم بالنضوج فتهدأ مشاعرهم وتستقر علاقاتهم بذويهم وكلما تذكر الآباء والأمهات تلك الفترة إختصروها أو إختصروا التعبير عنها فى جملة مقتضبة

: (أتعبونا قليلاً في صغرهم !!) هذا هو كل الأمر .. فكم وكم ينظر الله إلى فترات الجهل وحماقات الصبا، لقد عبر عن ذلك القديس بولس الرسول فى مجمع اليهود بإنطاكية، فى حديثه عن بنى إسرائيل فى البرية (ونحو مدة أربعين سنة إحتمل عوائدهم فى البرية أع١٣ :١٨) وهو أقرب ما يكون لوصف فتى مشاكس عنيد، يأتى من الحماقات والتجاوزات ما يفوق الوصف والإحتمال، وكيف إحتمله أبوه بصبر منقطع النظير .

وأتخيل أن الشيطان يأتى إلى قدام الله ليشتكى علينا، وهو فى ذلك يختار أشد الأوقات حرجاً بالنسبة للخاطئ، عندما يكون فى عمق الضعف، وفى عين السقطة يشير نحونا فى شماتة ويقول أنظر ها هوذا الذى تقول عنه إنه إبنك ؟ أنظر ما يفعل ؟! ويكون الخاطئ حينئذ فى حالة يرثى لها، فإذا بالله يدافع عنا باعتبار ذلك سقطه .. مجرد سقطه .. هفوة .. ضعف بشرى، لا يمثل بحال المستوى الثابت لنا .. ولا يعبر بالطبع عن علاقتنا بالله .. فيخزى الشيطان .. وفى المقابل يختار الله وقتاً آخر يكون فيه المنحنى الروحى فى أعلى نقطة له، ربما فى ساعة تعزية .. أو دموع توبة سخية .. أو عمل محبة صادق .. أو صلاة حارة .. ليعلن بفرح أن هذا هو إبنى بالحقيقة .. هذا هو مستواه .. ومرة

أخرى يخزى الشيطان ويهزم، وبهذا يكون الله قد إنتصر لنا فى المرتين .

وهذا هو ما حدث بخصوص أيوب الصديق والذى إشتكى عليه الشيطان أمام الله، حيث سمح الله للشيطان – بموجب قانون تكافؤ الفرص – أن يجربه ويشتكى عليه ولكن بسماح منه وبالقدر الذى يحدده، وقد كان الشيطان لزجاً لحوحاً عنيداً، ولكن الله تمجد ونجح أيوب فى التجربة وترك لنا رصيداً هائلاً من الصبر على الشدائد والحوار الثرى الصادق بين الله والإنسان . (راجع أى ١) .

وعلينا أن ندرك جيداً أن خطايانا مهما بلغت فإنها لن تقدر أن تحجب عنا مراحم الله وعطاياه لأنه صالح ورحوم وخير يعطى حسب صلاحه وليس بحسب إستحقاقه .

٥- الاعتذار "التوبة" :

إن السر الذى يلذ لنا أن تعرفه هو أن الإعتذار لله يعتبر أثمن من الوصية التى كسرناها !! ودموعنا أغلى بكثير من المخالفة .. إنها تحرك أحشاء رأفته .. إنها الوحيدة التى تقدر أن تغلب الله (حولى عنى عينيك فإنهما قد غلبتانى نش ٦ :٥) وكأن الدموع تذيب فى لحظات سجلات خطايانا وآثامنا .

لقد بكى حزقيا الملك أمام الله فى مرارة وخشوع عندما أخبره أشعياء النبى بأنه سيموت (فوجه حزقيا وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب وقال «آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك وبكى حزقيا بكاء عظيماً أش٣٨ :٢, ٣) فماذا فعلت دموعه ؟

أعادت ظل الشمس عشر درجات !! وأضافت إلى عمر حزقيا خمس عشرة سنة !! شئ يفوق الوصف فى محبة الله وتقديره لدموع الإنسان فقال (قد سمعت صلاتك . قد رأيت دموعك . هانذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة ومن يد ملك أشور أنقذك وهذه المدينة، وأحامى عن هذه المدينة وهذه لك علامة من قبل الرب أن الرب يفعل هذا الأمر الذى تكلم به

هاأنذا أرجع ظل الدرجات الذى نزل فى درجات آحاز [1] بالشمس عشر درجات إلى الوراء فرجعت الشمس عشر درجات فى الدرجات التى نزلتها (٣٨أش:٥-٨) وهكذا برجوع ظل الشمس عادت شمس الحياة إلى حزقيا بعد أن كانت قد أوشكت على المغيب، وقد صلى حزقيا بعدها صلاة مفعمة بالعاطفة الروحية والحب والإمتنان تجاه الله .

ولكن الله لا يسر بانسحاقنا كمن يتلذذ بإذلالنا ولكن الإنسحاق يأتى منا نحن باعتباره تعبيرا عن ضعورنا بأننا أخطأنا وتعبيراً عن رغبتنا فى الإغتسال من خطايانا فنتألم مع المسيح لنتمجد معه، أى أن ما نعانيه فى التوبة من آلام ودموع هو بمثابة إشتراك مع المسيح فى الصليب .. وبعد الصليب هناك قيامة، فإن المسيح صام بنا وصلب بنا وتألم بنا وقام بنا وصعد بجسدنا وهو الآن يجلس نائباً عن البشرية فى يمين الله .

عندما أبلغ إيليا النبى، أخاب الملك بالشر الذى أعد على

---

(١) درجات احاز يقصد بها ساعة مزولة رآها فى دمشق (٢مل١٦:١٠) فصنع لنفسه مثلها فى إسرائيل وهى عبارة عن سلم مركب فوقه عمود ودرجات للسلم ممن جهة الشرق والغرب ويتم حساب الوقت عن طريق ظل العامود، وبحسب الدرجات .

بيته ومملكته (شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت . فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلاً هل رأيت كيف إتضع أخاب أمامى فمن أجل أنه قد إتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه بل فى أيام إبنه أجلب الشر على بيته ١مل٢١ :٢٧-٢٩) .

وتعالوا معاً نتخيل طفلاً مشاكساً فى بيت، يمرح هنا وهناك ولا يكف عن الحركة والضجيج والصراخ، يعبث بكل شئ ويتشاجر مع إخوته ويتلف بعض اللوازم، والأم من مكانها تصرخ عليه بين آن وآخر أن يكف عن اللهو والصراخ، ولكنه طفل !! يواصل نشاطه وسط الشقة وبين حجراتها المتسعة، فماذا كان من الأم .. إنها هددته بأنها ستطرده خارج الشقة ان لم يرعو فلم يرعوى، وهنا جاءت فى هدوء وأمسكته من ثيابه وفتحت باب الشقة وألقته خارجاً ثم صفقت الباب وراءه .!!

وعند ذلك يشعر الطفل بالضياع فإن قيمته تكمن فى الداخل فقط، فإستكان إلى أول درجة سلم وجلس فوقها واضعاً رأسه بين بين يديه فى مسكنة وذل ليس من مزيد عليه، أما الأم فلم تسترح كما كانت تتوقع، بل إتجهت بهدوء وفتحت جانباً

من الشباك وتطلعت إليه فعز عليها حالته وأنت أحشاؤها عليه وكادت تبكى، فاتجهت على الفور إلى الباب وفتحته ودعته للدخول فأقبل مسرعاً إلى الداخل فرحاً وهى أكثر منه !! هكذا يفعل الله معنا .

وآه لو عرف الإنسان الطريق إلى الدموع أو عرفت الدموع طريقها إليه ؟! .. تغسله وتنقيه، ويجمعها الله فى زق عنده إنها شئ ثمين، ولكن مسكين ذلك الإنسان الذى صار شخصاً عقلانياً تجريدياً فجفت مآقيه وتحجرت عيناه وأصبح قاسياً، يقول أحد القديسين إن الله لن يدينا لأننا أخطأنا ولكنه سيدينا إن لم نتب بعدما أخطأنا، هكذا قال الرب (إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون لو١٣ :١-٥) وفى سفر حزقيال يصرح الله بهذه الحقيقة ويضعها ميراثاً لكل إنسان عبر الأجيال (هل مسرة أسر بالشرير يقول السيد الرب ألا برجوعه عن طرقه فيحيا حز١٨ :٢٣) .

يقول القديس يوحنا سابا المعروف بالشيخ الروحانى فى أنشودته الرائعة عن التوبة

(التوبة هى ترياق لأوجاع الخطية القاتلة، وعذاب

عظيم للشيطان مضادها . إنها تخلص وتعتق المسبيين الذين سبوا بشره وأتعابه التى تعبها فى سنين كثيرة، تضيعها التوبة فى ساعة واحدة، والعبيد الذين بمشيئتهم أخضعوا حريتهم له، تعيدهم إلى ميراثهم، وتعذب من خدعوهم . زرع الشوك الذى زرع بأرضنا وربى يحرص فى سنين كثيرة . فى يوم واحد تحرقه وتطهر أرضنا حتى تعطى أثمار زرع فلاحة المسيح، ثلاثين وستين ومائة . الحصون التى بناها فى زمان طويل، ليسجن فيها أسراة، الذين سبوا فى الظلمة، بقمر صغير يشع فيهم تهدم، ويشرق النور فى وجوه الجالسين فى الظلمة، ورباطتهم تنقطع، وأحزانهم تستبدل بالسرور، ودموعهم بالفرح، أما رابطهم، فإنه يربط بسيور الظلمة، ويسلم بأيديهم للعذاب . كل فلاحته تفسد، وكل الأوجاع التى صنعها بيد عبيده، تطيب وتشفى، وكل قتلاه يقومون، وكل فخاخه تنكسر، وكل اشراكه تتقطع، وتهيئ الطريق قدام محبية، حتى يتقدموا بلا عثرة فى طريق المسيح واهبها . إنها (التوبة) تجعل الزناة بتوليين، كما تجلى النورانى الذى علاه الصدأ . انها من الماخور إلى البرية تجتذب لعمل الملائكة، والمضيئون الذين احتقروها تركتهم، فنزلوا إلى

الجحيم السفلى . هى تدخل إلى مخادع الزانيات، وتجتذب الزناة، وتلدهم من حضنها بتولين للمسيح . ترد الكافرين إلى الرسولية، والرسل الذين نزعوها لبسوا الظلمة . إنها لباس العالى، وللابسيه تلبس مجد يسوع ورداء . هى تجتذب من الطرقات إلى الملكوت، ومن بين السياجات تدخل العرس . أنها من السوء تصون المضيئين، وتجعل العميان مبصرين . هى تقلع الشجرة التى أثمارها سم الموت، وشجرة الحياة تغرس بفردوسنا . هى حاملة برائحتها طيبات النعمة، والذين نتنوا بالنجاسة إن قلوبها تطيبهم . إنها قائمة بباب الختن السماوى، وكل من عبر بها إستقبل وجهه بيدها، ووضعوا إكليل العرس، وكل من تطامن قدامها جعلته متكئاً فى الحجلة (بيت العروس)، تمسك بيدها مفاتيح ملكوت السموات، فكل من أحبها وعشقها جعلته أميناً) .

لا توجد خطية تغلب محبة الله مهما بلغت، لأن الله مغلوب من محبته لنا، ونقول فى القداس الإلهى « حنوك غلبك » ويروى أحد الآباء قائلاً : هب أن طفلا سريع الحركة، كثير العبث فى كل شئ .. صدم بيده قطعة أثرية (مثل ثرية زهور) فوقعت على الأرض وتناثرت شظاياها، وما أن حدث ذلك

حتى إنفجر الطفل باكياً فى هستيرية وهو يلطم وجهه، وهنا سمع الأب صوت صراخ ودموع إبنه فهرع على الفور إلى المكان وما أن رأى طفله على هذه الحال حتى التقطه بين ذراعيه وراح يهدئ من روعه ولكن الطفل يأبى الإمتناع عن الصراخ والعويل، ويبدأ الأب فى طمأنة الإبن بأنه سيشترى أفضل مما كسرت وأن الأمر الأهم هو سلامته هو .. وما إلى ذلك ولكن الطفل يبكى، يلاحظ أن رد فعل الأب هذا ناتج عن دموع ابنه، التى تعد توبة صادقة كل الصدق فدموع طفله الحبيب أثمن بكثير من الثرية التى تحطمت .

وعلى العكس من ذلك لو أن الطفل لم يعتذر ولم يبد عليه أى تأثير، بل إذا عوتب تشدق باتهام الثرية بأنها هى التى إصطدمت بيده بينما هو يسير فى براءة !! هنا ينزل الأب بابنه عقاباً شديداً .

٦- الرفض وموقف الله منه :

فماذا إن رفض الإنسان الملاطفة والعتاب وإستهان بطول آناة الله، وصلب رقبته، وقسى قلبه، إن الله ينظر إلينا فى صبر وحنو واهباً لنا الحرية، ولكن ما أن يرى أننا قد تجاوزنا حداً فاصلاً، حتى يمنعنا ويردعنا ولو بالقوة، ومن لا يأتى باللمسة الرقيقة من الله يأتى بالضربة الموجعة، فالله أبيض وأحمر (حبيبى أبيض وأحمر معلم بين ربوة نش٥ :١٠) أبيض فى لطفه ونقاوته وحنو قلبه، وأحمر فى جديته وصرامته .

إن الحديث الطويل عن رحمة الله ومحبته يجب ألا ينسينا مخافة الله، لذلك يقول الله فى عتاب (الإبن يكرم آباه والعبد يكرم سيده فإن كنت أنا أباً فأين كرامتى وإن كنت سيداً فأين هيبتى مل١ :٦) وأتخيل أن الإنسان الذى يستهين بلطف الله يفقد الإكليل ويستحق المجازاة (هوذا لطف الله وصرامته أما الصرامة فعلى الذين سقطوا وأما اللطف فلك إن ثبت فيه وإلا فأنت أيضاً ستقطع رو:٢٢) .

لقد تمادى شمشون ولم يسمع لقول الرب وأسلم نفسه وجسده وكرامته للهوان، فكان فى البداية يسكن فى أورشليم ثم

بين آن وآخر يمضى إلى غزة حيث تسكن دليلة، ثم تطور الأمر فانتقل ليسكن فى غزة ثم بين آن وآخر يزور أورشليم، فأسلمه الله لأيدى أعدائه للتأديب، ففقد قوته وأسره الفلسطينيون وفقئوا عينيه وربطوه فى الطاحونة بدلاً من الثور [1] !! فلما إتضع وتاب، إنتقم الله من أعدائه على يديه أيضاً فكان عدد الذين قتلوا فى موته أكثر ممن قتلهم فى حياته .

وهو الأمر الذى حدث مع منسى الملك أيضاً الذى أضل الشعب وجعلهم يخطئون أكثر من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل (وكلم الرب منسى وشعبه فلم يصغوا . فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك أشور فأخذوا منسى بخزامة، وقيدوه بسلاسل نحاس وذهبوا به إلى بابل . ولما تضايق طلب وجه الرب إلهه وتواضع جداً أمام إله آبائه وصلى إليه فاستجاب له

---

(١) تهبط الخطية الإنسان لمستوى الحيوان، ففى وصف نينوى قيل ان بها إثنتى عشرة ربوة من الناس وبهائم كثيرة، وفى حديث السامرية مع المسيح قالت عن البئر أن يعقوب شرب منه هو وبنوه ومواشيه، وفى طقس الكنيسة نجد أن عمل مساعد الشماس (الإبيذياكون) هو حراسة البابا ليمنع غير المستحقين والحيوانات من الدخول، فالإنسان يتميز عن كل من النبات والحيوان بأنه له الإرادة والغريزة معا، فإن ضبطت إرادته أهواءه صار أرقى من الملاك الذى ليس له جسد، وإن أخضعت الشهوة إرادته صار أقل من الحيوان الذى لا عقل له .

وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم إلى مملكته فعلم منسى أن الرب هو الله ٢أخ٣٣: ١٠-١٣) والذى يقرأ صلاة منسى، يدرك كيف قدم توبة نقية وقوية (... يارب ضابط الكل أنت يارب العلى الرحوم طويل الروح وكثير الرحمة وبار ومتأسف على شر البشر .. أنت أيضاً يارب على قدر صلاحك رسمت توبة لمن أخطأ إليك وبكثرة رحمتك بشرت بتوبة للخطاة لخلاصهم .. أنت يارب إله الأبرار لم تجعل التوبة للصديقين بل جعلت التوبة لمثلى أنا الخاطئ لأنى أخطأت أكثر من عدد رمل البحر، كثرت آثامى ولست مستحقاً أن أنحنى من أجل كثرة رباطات الحديد، ولا أرفع رأسى من خطاياى، والآن بالحقيقة قد أغضبتك، ولا راحة لى لأنى أسخطت رجزك والشر صنعت بين يديك وأقمت رجاساتى وأكثرت نجاساتى، والآن أحنى ركبتى قلبى وأطلب من صلاحك أخطأت يارب أخطأت وأثامى أنا عارفها ولكن أسأل وأطلب إليك يارب أغفر لى ولا تهلكنى بآثامى ولا تحقد على إلى الدهر ولا تحفظ شرورى ولا تلقنى فى الدينونة فى قرار أسفل الأرض **لأنك أنت إله التائبين** وفى إظهر صلاحك لأنى غير مستحق وخلصنى بكثرة رحمتك فأسبحك كل أيام حياتى [1]

(١) صلاة منسى الملك – الأسفار القانونية التى حذفها البروتوستانت .

والذى يقرأ بقية الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثانى، يعجب من الطريقة التى أثبت بها توبته حيث هدم المرتفعات ومذابح الوثن، وأسس عبادة حارة فى أورشليم .

ويمكننا أن نتخيل الله مثل إنسان كائن على برج شاهق والناس من تحته مثل الأمواج، يناديهم فلا يلتفتون إليه ولا يأبهون له، صرخ عليهم ولكنهم كانوا مشغولين باهتماماتهم الخاصة، فراح يجرب التلامس معهم ذلك بأن القى عليهم بعضاً من الرمال، ولكن ويا للأسف فقد حملتها الرياح بعيد قبل أن تصل إليهم، فألقى بعضاً من الطوب الصغير فتوجعوا قليلاً ولكنهم ما لبثوا أن عادوا إلى إهتماماتهم، ومن هنا لم ير ذلك العالى إلا أن يحمل حجراً كبيراً يلقيه إلى أسفل، فوقع على أحدهم فشدخ رأسه !!

وهنا صاح الناس نحوه .. أما تحاذر .. أما ترانا .. ها قد جرح هذا الإنسان جرحاً بليغاً .. وحينئذ أجابهم فى حب وشفقة .. فماذا أصنع إذا لقد حاولت كثيراً بشتى الطرق حتى تلتفتوا إلى .. فاضطررت لذلك .. ولكنى سوف أضمد له جرحه وأعيده إلى الحياة أيضاً .

الله يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون .. الله يريد أن يخلص على كل حال قوماً .. بشتى الطرق .. ولو بالتأديب بل أن التأديب هو محبة من الله .. فالذى يحبه الرب يؤدبه . وخير للإنسان أن يفقد شيئاً هنا ولا يفقد أبديته، فإذا تمادى، فى رفض الله، وأغلق قلبه وذهنه دون الحق صار مصيره مهدداً، هنا يستخدم الله الضغط لعل الخاطئ يثوب إلى رشده .

الحياة الأبدية مجد وفرح وإكليل لا يضمحل

(وبعد إلى مجد تأخذنى مز٧٣: ٢٤)

إن كل الآلام التى نعانيها هنا لا تساوى شيئاً مقابل المجد الذى يهبه الله فى ملكوته للمجاهدين، لقد وهب لمعلمنا بولس الرسول أن يرى قبساً من هذا المجد، ولكنه من فرط عظمته وحلاوته لم يستطع التعبير عنه .. فرح لا ينطق به وسعادة غامرة، إن ما رآه معلمنا بولس الرسول . أجمل من أجمل ما رأت أعين البشر وأروع مما سمعت آذان الناس، بل إن أجمل ما خطر على قلوب الناس . لا يحسب شيئاً مقابل ما رآه

(مـا لـم تـر عـين ولم تسـمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه ١كو٢ :٩) .

إن أعظم إكليل للبار هو الوجود مع الله بين صفوف القديسين، فى حياة لا حزن فيها ولا تنهد ولا كآبة ولا ملل أو سآمة، لأنه لا سلطان للموت الثانى ولا سلطان للزمن إذ أن عامل الزمن سيكون منعدماً تماماً فى الأبدية، وبالتالى فإنه قد تمر ألف سنة كيوم واحد، كذلك فإنه لا يوجد هناك ضعيف العقل أو مكسور الجسم، بل كاملين فى المعرفة، أصحاء (هناك يكف المنافقون عن الشغب وهناك يستريح المتعبون . الأسرى يطمئنون جميعاً لا يسمعون صوت المسخر . الصغير كما الكبير هناك والعبد حر من سيده أى ٣ :١٧-١٩) .

فى حين يعد العقاب القاسى للأشرار هو الخروج من حضرة المسيح والحياة فى آلام لا تنقطع . إن الله رحوم ولكن الخاطئ تقوده خطاياه حتماً إلى الهلاك .

شوهد القديس أنبا أرسانيوس يبكى وهو يحتضر، وعندئذ سأله تلاميذه : وأنت أيضاً تبكى يا أبانا ؟. وحينئذ أجابهم قائلاً : إن وجع هذه الساعة لم يفارقنى منذ دخولى إلى الرهبنة . وعند

نياحة البابا ثيئوفيلوس (٢٣) قال « طوباك يا أنبا أرسانيوس لأنك عشت حياتك لأجل هذه الساعة .

وها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله (رؤ٢٢ :١٢).

الفهرس

حسن النية ٨

الخاطئ والفاجر ١٥

الخطية تجرح الله ٢٥

الإعتذار (التوبة) ٣٢

الرفض وموقف الله منه ٣٩

الحياة الأبدية مجد وفرح وإكليل لا يضمحل ٤٣

كتب أخرى للمؤلف

دراسات في العهد القديم:

١) تفسير سفر طوبيا
٢) تفسير سفر يهوديت
٣) تفسير سفر حكمة سليمان
٤) تفسير سفر يشوع بن سيراخ
٥) تفسير تتمة أستير ودانيال وصلاة منسى والمزمور ١٥١
٦) مدخل إلى سفري المكابيين
٧) تفسير سفر المكابيين الأول
٨) تفسير سفر المكابيين الثاني

كتب تاريخية ودراسات:

٩) الرهبنة الحبشية
١٠) شهداء نجران
١١) بيلاطس البنطي
١٢) التلمود (نشأته، تاريخه، بعض من نصوصه)
١٣) الهيكل: الطقوس والاحتفالات كما كانت تتم في أيام السيد المسيح (مترجم)
١٤) مدخل إلى الموسيقى القبطية (طبعة تحضيرية)
١٥) دراما الصلب

سير آباء:

١٦) الأنبا موسى الأسود
١٧) الغريبان الصغيران (القديسان مكسيموس ودوماديوس)
١٨) الأب عبد المسيح الحبشي
١٩) الأب بنيامين المتوحد
٢٠) الأب عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي
٢١) الأب تادرس الأنبا بولا (حكاية راهب في القلاية المجاورة)
٢٢) شهداء العهد القديم

كتب روحية:

٢٣) التلمذة الروحية
٢٤) الميطانيات
٢٥) شبابنا وفكر الرهبنة
٢٦) معلمين كثيرين
٢٧) كيف أحيا عفيفا
٢٨) العمل الفردي